فلسطين . . أنتِ المسألة

لعله ليس من الأمور المحيرة في الانتفاضات العربية، المستقلة وتلك التي يحركها الغرب أو يشجعها تعمد "قادتها" تغييب أي ذكر لفلسطين وأي نظرة للقضايا القومية العربية أو للقضايا الوطنية، إن كان لديهم أيًا منها.

فكل ما نقرؤه أو نسمعه يتعلق أو يتمسك بترديد شعارات براقة لكنها مستهلكة، مثل الحرية والديمقراطية وما إلى ذلك من اللغو العام. ونقول: اللغو، لأننا لم نقرأ أي أدبيات من تلك القوى، أشخاصًا كانوا أو مؤسسات، ما تعنيه بالمفردات والمصطلحات التي ترددها وتدعوا المتظاهرين، المظلومين في معظم الأحيان الذين استحالوا مشاريع شهداء، إلى رفعها.

فترديد المفردات البراقة لا يمكنه إخفاء عجز قِوى، فردية وجمعية، عن إلباس مطالبها لباسًا تطبيقيًا واضحًا.

فعلى سبيل المثال:

ما المقصود بالمفردة "الحرية"؟. وكيف تود تطبيقه على أرض الواقع؟.

وما معنى العدالة الاجتماعية؟.

وما معنى المساواة؟.

وما معنى التطور الاجتماعي المستقل؟.

وما معنى حرية التطور الشخصي الإبداعي الحر؟.

ونضيف هنا القول: لنا الحق في طرح سؤال "كيف يمكن تصديق قوى شيوعية لينينية، بل وحتى ستالينية حتى نخاع العظم، الادعاء، من دون أن يرف لها جفن، بأنها تريد الحرية للغير!.

ثم، كيف يمكن لقوى المناداة بالحرية في الوقت الذي يعتمد فيه برنامجها بل وفكرها على فرض رؤيتها الدينية التكفيرية، ليست القائمة على الطائفية بل وحتى المذهب نفسه.

وكيف يمكننا تصديق قوى تدعي أنها تريد الحرية لشعوبها في الوقت الذي تتلقى فيه دعم الغرب اللامحدود!. فهل استحال حلف العدوان الأطلسي مؤسسة خيرية اجتماعية في خدمة المظلومين والمهمشين!.

قيل: الشيء الوحيد الذي يقدم مجانًا هو قطعة الجبن في مصيدة الفأر.

هذه أسئلة وتساؤلات نطرحها على "قادة" وداعمي تلك الحركات والتحركات، احتجاجية كانت أو ثورية أو انتفاضية أو أو أو. فالكل مجبر، إن ادعى لنفسه صفة الطليعية، على تقديم إجابات واضحة، لا تلعثم فيها ولا سكوتٌ مرتبكٌ، أو صمت جاهل. أذكر كلمات سناتور أمريكي وجهها إلى ياسر عرفات عندما طالبه بالاعتراف بدولة العدو حيث قال: على عرفات الاعتراف بدولة إسرائيل وبحقها في الوجود بكلمات واضحة لا لبس فيها، وليس الاكتفاء بتمتمة يلف بها ويدور كالقط حول وعاء الحساء الساخن. عليه عند النطق بالاعتراف تحريك شفتيه ولسانه على نحو واضح حتى تخرج الكلمات واضحة، وعندها نصدقه.

الآن، لا شك في أنه ثمة قضية رئيسة ملحة واحدة توحد العرب، وأعني شعوب أمتنا، هي قضية فلسطين. هي القضية الوحيدة التي أجمع العرب بشعورهم الوطني والقومي الفطري، جميعهم، ومن دون استثناء، على كونها مقياس الانتماء الوطني والقومي الصحي والصحيح. هذه القضية تجمع كل أطياف أمتنا وعناصرها الدينية والقومية والمذهبية – لكن هذا لا يعني أن الأمر يسري على "قادتها"، اللاهثين وراء الكراسي والزاحفين تجاه المناصب الفارغة، يتزاحمون وتعاركون على ما ترميه الولايات المتحدة الصهيونية من فتات عفن في وجوههم.

نعم، لا شك في خبو الحماس الشعبي العربي، للانخراط في النضال ضد العدو الصهيوني بعد سلسلة التراجعات والاستسلامات المخزية لقيادة منظمة التحرير قبل مهزلة أوسلو بوقت طويل، ومن بعدها سلطة مبنى مقاطعة رام الله، لصالح العدو الصهيوني، لكن هذا تغير كثيرًا إثر العدوان الصهيوني على غزة والوحشية المفرطة التي مارسها هو وحلفائه من عربان كامب ديفيد برئاسة التكفيريين والمستسلمين في كامب ديفيد، ومن قبله في الكيلو 101، - رغم أداء حماس غاية في الرداءة والمفتقر إلى أي حرفية ثورية سياسيًا وعسكريًا وإعلاميًا في مواجهته، ومن قَبْل على جنوبي لبنان حيث تصدت له قوات حزب الله بشجاعة وثبات منقطعَي النظير من الصعب العثور على مثيل لهما في التاريخ العربي المعاصر.

ومع أن صورة الفلسطيني، مناضلاً صلبًا، التي كانت سائدة في وجدان أبناء أمتنا العربية في سبعينيات القرن الماضي، قد خبت كثيرًا بعد الأداء الاستسلامي الهزلي منذ هزيمة عام 1982، إلا أن النضال الفلسطيني اكتسب بعض بريقه الماضي بفضل "الانتفاضات" الأولى والثانية في مناطق "الضفة الغربية" المحتلة وفي مناطق الاحتلال الأول المسمى "أراضي الـ48".

كما أن "مسيرات العودة" عند مارون الراس وفي هضبة الجولان المحتلة وفي قلندية وغزة، رغم كل ما تخللها من سلبيات بائسة، أثبتت من جديد مدى تمسك الشعب الفلسطيني بوطنه، واستعداده الدائم لتقديم ثمن الحرية المطلوب. إن الأبطال الذين توجهوا نحو حدود الوطن المحتل عزل من دون أي سلاح كان، سوى إيمانهم منقطع النظير بحقهم وبحتمية انتصارهم، كانوا يعرفون أن بعضهم سيسقط في مواجهة عدو عنصري أثبت عبر عشرات السنين إتقانه صناعة تزوير التاريخ وقتل الضعفاء وجبنه أمام الصامدين. لقد سقط أولئك الأبطال، من جرحى وشهداء واستمروا في الحياة في أرواح رفاقهم الذين سيكملون لا محالة رحلة الحرية والتحرير، كي يتنشقوا عطر الأرض، موجهين الصفعة تلو الأخرى إلى سحن اللاهثين وراء الاستسلام بأي ثمن من جماعة أوسلو وأنظمة في جامعة الدول المتعبرنة، وفي وجه ملاحقي المناصب التافهة مثلهم، مجددين إظهار، أمام كل العالم، الحاضر والغائب، الحقيقة الأبدية الفلسطينية و-العربية، منذ ألف ألف عام، وإلى ألف ألف عام، مرددين المطلب الخالد والأبدي حقًا: الشعب يريد تحرير فلسطين والعودة إلى وطنه.

ومع أن كثير من القنوات التلفزيونية العربية الفضائية، وكثير منها قنوات التكفيريين التي أقيمت للتضليل وليس للإعلام) تجاهلت الأمر ولم تولِه ما يستحق من مغزى، إلا أن تحرر الإعلام العالمي من أيديهم التي أحرقت الأخضر واليابس، التي ابتاعت ما تيسر من صحف و"أقلام للإيجار"، نقلت عبر الإنترنت إلى الإنسان العربي، المحاط بهموم مادية وروحية لا نهاية لها، ولكن الذي وصل تفاؤله إلى السماوات، صورة الفلسطيني المناضل، المتمسك بوطنه حتى الموت، وأعادت له اعتباره الذي داست عليه "قيادات" متخاذلة مهزومة متواطئة. وهكذا انقلب السحر على الساحر، وفقأت العين المخرز وانتصر الدم على السياف.

قديمًا، كنا نناقش الرفاق "اليساريين والشيوعيين"، الجهلة بأبجدية الفكر الماركسي، الذين كانوا يرددون، كالببغاوات، مقولة: حل "الصراع في الشرق الأوسط [كذا] يفتح المجال أمام التفرغ للصراع الطبقي!! هذا الهبل توجته قوى عديدة من منظمة العمل والجبهة الديمقراطية [جدًا] التي كانت ترفع شعار (أيادي الكادحين الإسرائيليين والعرب ستبني السلام والمحبة في الشرق الأوسط . .) وما إلى ذلك من اللغو

والهذيان والتضليل الوضيع.

في الواقع أن كثير من الشيوعيين العرب، والاستثناء يؤكد القاعدة، أخفقوا في رؤية الأبعاد القومية للصراع العربي الصهيوني، وأن الصراع ضد الاستعمار، أو الإمبريالية، وطني طبقي وقومي بامتياز، وهو ليس صراعًا سياسيًا فقط وإنما أيضًا اقتصاديًا واجتماعيًا وفكريًا . . وهو ما يشكل جوهر النضال الوطني الذي يهدف إلى التحرر بكافة أشكاله وتجلياته المادية والروحية.

فمن المعروف أن اغتصاب فلسطين لم يكن مشروعًا يهوديًا، بل إن القيادات الروحية اليهودية وقفت ضده، وإن من منطلقات لاهوتية توراتية وتأويلية. اغتصاب فلسطين وطرد أهلها منها وتجميع ما أمكن من يهود العالم فيها مكانهم، مشروع إمبريالي صرف، ولد في الدوائر الاستعمارية البريطانية البروتستانتية التي هي حركة أصولية رفعت شعارات كثيرة للدلالة على ذلك ومنها "العودة إلى الأصول (العهد القديم بدلاً من العهد الجديد -- أي: إلى السلف"، وهو ما يجعل المسيحيين العرب، من كاثوليك وأرثوذكس . . إلخ، يعرفون البروتستانتية بأنها يهودية.

الصهيونية فكرًا وممارسة ولدت في عظات الكنائس البروتستانتية البريطانية في أواخر القرن السابع عشر التي كانت تبشر بنهاية العالم وقرب قدوم المخلص (الثاني!)، والذي يستدعي بالضرورة أن يتم ذلك في أرضه (فلسطين) وبين "شعبه" أي: "اليهود" [كمان كذا!]. ومن الجدير بالذكر أن كثير من وعاظ الكنيسة البروتستانتية في ذلك الحين حددوا موعد يوم القيامة، بالسنة والشهر واليوم "تمامًا كما حدد مهاويس في الولايات المتحدة الصهيونية يوم 25 أيار الماضي موعدًا لنهاية العالم، ثم أجلوه أخيرًا إلى شهر تشرين الأول المقبل بعدما تبين لهم عدم صحة تصديقهم كذبتهم!".

هذه الهلوسات المذهبية البروتستانتية الإنغليزية اندلعت بعد الثورة الفرنسية التي قضت على الملكية وعلى الحكم المطلق وأطلقت الشعار المثلث: الحرية والمساواة والإخاء، وإن لم تفلح، حتى يومنا هذا في تحقيق أي منهم. لقد كان انطلاق ذلك الفكر القيامي الألفي رد الفئات الحاكمة الإنغليزية الأكثر رجعية في المؤسسات الحاكمة هناك ومحاولة لاحتواء آثار الثورة الفرنسية والزلازل التي أحدثتها وقتها في أوربة. لقد شكّل الفكر القيامي الألفي جوهر الهجوم المضاد وأساسه، والذي رتبته قوى الرجعية الأوربية وقتها بقيادة الكنيسة الإنغليكانية في إنجلترا لاحتواء الثورة الفرنسية وآثارها، والتي شكلت التهديد الأكبر للغريم الأقوى، أي بريطانيا.

ومن الجدير بالذكر أن تلك الحركة الرجعية، والتي أطلق عليها مؤرخو الغرب "الإحياء الإنجيلي" كانت اندلعت من قبل، وتحديدًا عند بدء استعمار الأوربية إفريقية، ومن ثم عند احتلال الأمريكتين حيث نظر إلى ذلك على أنه "عودة" إلى الأرض المقدسة، وهو ما يشرح وجود عدد كبير للغاية من أسماء مدن المشرق العربي وتضاريسه في الولايات المتحدة الصهيونية.

بل ربما ثمة من لا يعرف كثير من القراء، حتى المطلعين منهم، أن اسم دولة الدانِمارك مأخوذ من "العهد القديم" ومن اسم سبط دان تحديدًا. فمعنى اسم المملكة الأوربية، مركب من المفردتين "دان" و"مارك"، والأخيرة تعني أرض أو ما إلى ذلك. ورغم أن علماء التاريخ المتخصصين يشيرون إلى اشتقاقات لغوية أخرى، إلا أن أهل البلاد وكثير من كتبة التاريخ الأوربيين يفضلون المعنى التوارتي.

ما نود قوله إن قضية فلسطين واستعادتها على أساس تصويب الخطيئة التاريخية وفي المقدمة عودة أهلها إليها يجب أن يشكل أساس وجوهر أي حركة سياسية ترفع شعارات الحرية وووووو.

وقد يسأل سائل: ما الذي يجعل من المسألة الفلسطينية ليس قضية قومية فقط بل وقضية وطنية، سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية . . تخص كل بلد عربي وشعبه.

بكل تأكيد هي ليست أنانية فلسطينية، ولا عصبية للوطن، ولا لي لذراع التاريخ، ولا تجني على الحقائق.

وهي أيضاً ليست فقط إحقاق العدالة، للمظلوم.

كون المشروع الصهيوني القائم على حياة الإنكار الدائم أساسها الاغتصاب وإلغاء الآخر، مشروعًا إمبرياليًا استعماريًا لا غير، حتى لو لم يتفق البعض مع قراءتنا لجذور الصهيونية في الفكر القيامي الألفي البروتستانتي وتجليه اليهودي، لا ينفي صفته وجوهره وتجلياته. وهذا يعني أن التصدي لهيمنة المستعمر الجديد/القديم الغربي في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية يجب أن يتعامل بالضرورة مع تجليات ذلك الاستعمار جميعها.

أود هنا تأكيد أني لست معاديًا للغرب، وإنما لبعض سياساته وأنظمة حكمه الاجتماعية والاقتصادية. أي إنني أتفق في هذا مع قناعات معظم علماء الغرب الاجتماعيين والفلاسفة البرجوازيين (وإن أتبرأ من هذه الصفة الطبقية المتعالية) والذين كثيرًا ما تستنجد المؤسسات الحاكمة هناك بهم وبتحليلاتهم كلما حلت بها كارثة اجتماعية (مثلاً اضطرابات في تجمعات عامة: حفلات موسيقى وألعاب كرة قدم والحركات الانفصالية مثل ما يحدث في فرنسة وبريطانيا وبلجيكا وإسبانيا وما حدث في يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والبوسنة وروسيا، واضطرابات مدينية، وما إلى ذلك من أحداث عظام وخطيرة).

بل إنني على قناعة بأنه ثمة الكثير الذي يمكننا تعلمه من الغرب، من تطوره التقني والتقاني المذهلين، وانضباطه ومقدراته العلمية وانفتاحه في كثير من المجالات، وتعامله المتسامح مع قضايا اجتماعية ملحة وخصوصًا مع مشاكله الاجتماعية مهما أثارات من حساسيات أخلاقية أو تربوية، ولكنني ضد تجلياته الاقتصادية التي تسلعن البشر والحجر، وبالتالي السياسية.

عودة إلى موضوعنا، بما أن الانتفاضات العربية، التي بدأت تستحيل أحياناً ثورات، هدفها التحرر والانعتاق، ما أمكن، في كافة مجالات الحياة، فلا مناص من مواجهة أحد أكثر تجليات الهيمنة والعدوان فظاظة وبشاعة، وهو كيان العدو العنصري المغتصب وموقفه من الشعب الفلسطيني وحقه في وطنه.

لنعد قليلاً إلى عقود قليلة مضت ونتذكر اللغو الساداتي بأن المواجهة مع "إسرائيل" أفقرت الشعب المصري، وبأنه امتلك المعادلة السحرية لقيام مصر قوية مستقلة غنية قائمة على الصلح معه والتخلي عن فلسطين – مقابل الاكتفاء بما يلقيه إلينا من فتات زائد عن حاجاته. النتيجة نعرفها جميعًا: تبعية مذلة لإملاءات الولايات المتحدة الصهيونية وبالتالي للعدو، وإفقار لا مثيل له لشعب مصر العزيز حيث وصلت ديون البلاد هذا العام، الداخلية والخارجية، إلى أكثر من ألف مليار دولار، (كما قال الشاعر أحمد فؤاد نجم: رجعت سينا وضاعت مصر، يا سادات كفاية نصر).

وبغض الطرف عن هذا الجانب، نسأل: لماذا على الشعب الفلسطيني التخلي عن وطنه "إلى الأبد" حتى يظن شعب شقيق بأن ذلك طريق استعادة بقية من وطنه، منقوص السيادة. لكن الشعب المصري، صاحب أكثر ثورات العالم أناقة، قال كلمته في الساداتية، بكافة تجلياتها ومظاهرها السياسية والاجتماعية والفكرية والعسكرية والقومية.

تحيا مصر الجديدة.

لنأخذ مثل آخر نراه يوميًا على شاشات التلفاز وهو ليبيا. بصرف النظر عن حقيقة أننا لابد من النظر بعين الريبة، بل والسخرية، إلى حركة تدعي أنها تريد الحرية لشعبها، ويرأسها وزير عدل [كذا!] في النظام الذي تريد إسقاطه -- ويا لها من مهزلة: ألا يشبه هذا وزير خفر السواحل في بلد لا ساحل له!!. لننظر جيدًا إلى زي "القائد" الجديد، مندوب حلف الأطلسي العدواني، وكيف استبدل بزيه الوطني الجميل، زي سيد شهداء ليبيا عمر المختار، الذي مثل تعبيرًا عن الكبرياء في مواجهة الاستعمار الإيطالي الممعن في وحشيته

وهمجيته، بدلة الرجل الأبيض، السيد الجديد/القديم لليبيا، أو لما سيتبقى منها، ليثبت تحضره وعصرنته وأهليته لخدمته.

لأن التحرر والانعتاق يعنيان التصدي لكافة أشكال العبودية والأغلال الاقتصادية وبالتالي الاجتماعية والفكرية والروحية، فلابد لأي حركة سياسية ترفع هذه الشعارات السامية، رغم ضبابية أو التباس معانيها لدى كثير من رافعيها أو حتى جهلهم بها، والتي تفقد مغازيها العظيمة وتستحيل لغوًا سمجًا، بل وتكتسب معانٍ قبيحة، على ألسنة قادة دول حلف العدوان الأطلسي، وفي مقدمتهم المرتد لص الثورات العربية، من التعامل مع كافة معانيها العميقة والسطحية، الواضحة والملتبسة فلا مكان هنا للتقية لأنه هذه تعني في العمل السياسي الكذب والخداع والجبن والمواربة، وبالتالي: الخيانة. والعمل السياسي، بمعنى اللهاث وراء السلطة فقط لأجل السلطة (ونميزه هنا من العمل الوطني المليء بالتضحيات العظام) يعد أكثر المهن "انحطاطًا" حيث يبيع الشخص أبيه وأمه وولده وشقيقه، ولنا في العالم، الشرقي والغربي ما يكفي من الأمثلة.

ثم، ما معنى الحرية! فهل ثمة حرية حقيقية عميقة، من دون التصدي للقضايا الاقتصادية – بمعنى منع رأس المال، الوطني والأجنبي، من الهيمنة على مقدراتنا – وبالتالي الوطنية وحتمًا القومية!.

وهل تعد تلك الحركات والتحركات في شوارع مدننا وقرانا وحقولنا أنه ثمة قضايا قومية وجب التصدي لها، وفلسطين ليست القضية الوحيدة، وإنما الأساس – منها قضايا الجماعات القومية الأخرى مثل قضية القرد والبربر الأماغيز وغيرها، أم أنه لا تصور لها.

في حال عدم امتلاكها أي تصور بخصوص هذه المسائل الجوهرية والأساس، وهي غاية في الإلحاح وتشكل ركيزة أي عمل سياسي وأي تغير حقيقي (وليس تغير في شاغلي المناصب والمقاعد)، فكيف يمكن وقتها ائتمانها على وطن يزخر بكل هذه المشاكل والكوارث التي لا حصر لها.

على أي حركة سياسية عاملة اجتماعيًا استحقاقات لا يمكنها الهروب أو التهرب منها، ولا يمكن حجب عين الشمس بالغربال. فقد قرأنا العديد من التعليقات التي تريد تأخير حديثها في الموضوع حتى استكمال مهامها [كذا]. ألا يذكرنا هذا بطلب الشيوعيين العرب وغير العرب بتصفية القضية الفلسطينية حتى يتفرغوا للصراع الطبقي العالمي!! وإذ بنا نرى كثير من قادتهم قد استحالوا عملاءً صغارًا للاستعمار الأطلسي الجديد/القديم، بينما تحول "مفكروهم" العظام" إلى قوادين للفكر الرأسمالي المتوحش واختار بعضهم حتى الاستوزار بتوصية من وكالة الاستخبارات المركزية.

عند تناولنا قضايانا الوطنية، في أي بلد عربي كان، وانطلاقًا من حقائق التاريخ والجغرافيا، وقوانين الاقتصاد والاجتماع التي لم نضع أي منها، وإنما درسناها في مؤسسات الغرب العلمية، واعتمادًا على دراسة طبيعة التحالف العدواني الأطلسي وتجلياته المختلفة في كافة مجالات الحياة، ومهما كانت الزاوية التي نتناول منها مسائلنا وقضايانا، يتبين من دون أدنى شك الالتحام العضوي بين الوطني والقومي، والاقتصادي بالفكري، وبالتالي بالروحي وبالاجتماعي.

المجتمعات البشرية ليست أسواقًا كما يصورها الغرب حيث استبدل بالرأسمالية (الاسم الدال على كل ما هو متوحش وهمشي ومعادي للإنسانية وفطرة البشر عميقة الإنسانية) وهو الاسم الذي كان يفخر به، مصطلح "اقتصاد السوق" مضيفًا إليه اللاحقة التجميلية، خالية المعنى، "الاجتماعي". الرأسمالية سلّعت كل شيء، وفي المقدمة البشر، ذكرًا وإناثًا، صغارًا وكهولاً، وحتى الزواج ومخدع الزوجية.

وهنا نعثر على مفارقة مثيرة للضحك وهي اتفاق بين الشيوعيين (الغير قابلين للتعلم من التاريخ وحتى

من تجاربهم هم) ومنظرو الرأسمالية. كلاهما غير اسمه. الرأسمالية استحالت اقتصاد السوق، والأحزاب الشيوعية أضحت، بقدرة قادر، أحزاب الشعب!!.

نقول من دون موارية وبصريح العبارة، ونحن نرى الأحداث الجلل التي تلاحقنا في شوارع بلادنا العربية، ونحن نعيش مآسي كبيرة، في ليبيا والعراق والصومال ومن قبل في لبنان، لا يمكن لأي حركات سياسية، تدعي، عن صدق أو كذبًا، أنها تسعى وراء تحقيق حرية شعوبها، تجاهل قضية فلسطين والقضايا الوطنية والقومية الأخرى، الملحة منها والقابلة للتأجيل. لا يمكن لأي التخفي وراء الإصبع والادعاء بأن هذه القضايا الكبرى، قضايا التحرر الوطني والقومي، يجب أن تؤجل.

إلى الآن نرى أن كثير من تلك الحركات تحيط بصمت مريب القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في وطنه – الرقم غير القابل للقسمة.

للتذكير، في سبعينيات القرن الماضي تبنت القيادة الفلسطينية المهزومة برنامجًا انحرفت به عن طريق النضال الصعب والقاسي، وأطلقت عليه صفة "المرحلية"، قبلت بموجبه حل مع العدو الصهيوني أساسه التنازل عن فلسطين لصالح المشروع الصهيوني وتأسيس دولة (ولو على ظهر حمار، كما صرح القائد العام في أكثر من مرة، ردًا على جورج حبش الذي اتهمه بأنه يريد دولة ولو على مجاري إريحا)، على أنه برنامج تكتيكي على طريق فلسطين، لكنها لم تكلف نفسها عناء شرح كيفية ذلك.

لقد طرحت برنامجها الانهزامي على أساس أنه يخدم قضية تحرير فلسطين ونتاج لانتصارات مزعومة في حرب تشرين، بينما هو في الواقع برنامج هزيمة عام 1971/1970 المنكرة في الأردن وفقدان العمل الفدائي، كما كان يسمى، قاعدته الرئيسة بين أبناء شعبنا هناك، واستجابة لتحالفها الذيلي مع السادات. نتائج ذلك البرنامج المرحلة نراها الآن، وحتى حلم تلك الدولة العتيدة (ولو على ظهر حمار) استحال كابوسًا حيث لم يبق منه سوى الحمار.

وحتى لا نظن أو أن نتأكد من أن تلك القوى لم تسكت عمدًا عن مختلف القضايا الوطنية والقومية، الملحة والأقل إلحاحًا، إما عن قناعة بضرورة انخراطها في مشروع تصفية القضية القومية الأولى، وبالتالي تصفية بقية تلك القضايا كي يقبل بها حلف العدوان الأطلسي حليفًا ذيليًا وخادمًا ملتزمًا، أو خوفًا من تخليه عن دعمها واختفاءها من شاشات القنوات الفضائية وصحافة التكفيريين إن هي جاهرت بمواقف لا تعجبه، فعليها الإعلان بكلمات واضحة لا لبس فيها عن مواقفها من كافة القضايا الوطنية والقومية، ليس بشعارات ملتبسة، كما عادة القوى الانتهازية، وإنما بكلمات يفهمها العدو قبل الصديق – هذا إن سعت إلى قبول الشارع العربي بها وتبرئتها من التبعية والوصولية والانتهازية والسذاجة القاتلة.

طبيعي أن كلامنا هذا ليس موجهًا إلى جماهير الفقراء والمسحوقين والمهمشين الذين يتظاهرون في شوارع المدن والقرى والبلدات وحاراتها لأجل كراماتهم المهدورة وحقهم في العيش الكريم في أوطانهم – لكن لماذا لا يحملون علم فلسطين إلى جانب أعلام بلادهم وصور شهداء فلسطين إلى جانب صور شهدائهم!.

لماذا لا يرددون القول: إن فلسطين، كما بلادهم وأوطانهم، أرقام غير قابلة للقسمة!.

لماذا على فلسطين وشعبها المظلوم دفع ثمن كل طامع في منصب، ومغامر يريد رفع مستوى الأندرين في جسمه. لماذا علينا ترداد:

قصب هياكلنا
وعروشنا قصب
في كل مئذنة
حاوٍ ومغتصب

يدعو لأندلس
إن حوصرت حلب.

كلامنا هذا موجه لمدعي الطليعية والريادة ومنتحلي هذه الصفات وغيرها، الذين لم يتركوا في الماضي قضية في أقصى أقاصي بلاد الماو ماو إلا وتصدوا لها تحليليًا، واتخذوا منها موقفاً.

على أي قوى عربية وليدة تدعي حمل رايات التحرر والانعتاق ووو، شرح برامجها الوطنية والقومية، والاجتماعية والاقتصادية بالتالي الفكرية، للبشر المطالبين بدعمها، والهتاف معها: الشعب يريد . . ما لا يريده!.

ماذا يريد الشعب؟!.

المطلوب موقفاً واضحًا من كافة التحديات التي تواجه شعوبنا منفردة وأمتنا مجتمعة، في كل زاوية من زوايا أوطاننا المنكوبة بحكام شبه آله، أكثرهم لا هم لهم سوى الاحتفاظ بعروشهم القصبية والهلامية.

وفي حال استمرارهم في صمتهم المريب فلن يكون بمقدورهم إثبات براءتهم من تهمة السلطات لهم، والذين هم أنفسهم كانوا مطبلين لها، وراقصين على إيقاعات بياناتها ووعودها لهم بمنصب هنا، أو بفتات هناك.

علينا التصدي للمهام الملحة الآن، ومن دون أي تأخير حتى لا يكون الضوء الذي يراه البعض في النفق صادر أحياناً من القاطرة المتجهة نحونا على السكة نفسها، وبأقصى سرعة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله!.

زياد منى
بيروت في 2011/05/25

(2962) كلمة.